قرأت العدد الماضي من الآداب

القصائد

بقلم الدكتور سهيل ادريس

تمتاز معظم القصائد التي يضمها العدد الماضي من « الآداب » بانها من هذا الشعر الذي ندعوه بالشعر الجديد .

ولا بد لي هنا من ان اشير الى ان « الآداب » قد درجت ، منذ صدورها على تشجيع هذاالشعر، بنشره ودعوة النقاد الى نقده ودراسته . وقد لقيت في ذلك رضى البعض وسخط الاخرين . فأما الراضون فاولئك الذين يؤمنون ايمان المجلة بان انتاجنا الشعري – شأنه في ذلك شأن جميع الالوان الاخرى من الانتاج – مدعو الى ان يجاري مقتضيات الفكر العربي الحديث في التعبير عن همومنا وشواغلنا التي تنبثق من واقعنا الجديد . وهو من اجل ذلك مدعو الى التخلي عن كثير من قوالبه القديمة وطرائقه التقليدية . والحق ان « الآداب » لم تفعل في ذلك الا ان تتبنى نزعة استشعرتها فئة من الشعراء منذ اكثر من عشر سنوات ، ثم تدفقت امواجها ، فانغمر فيها جيل بكامله من الشعراء الجدد . واما الساخطون ، فاولئك المتمسكون بالاطارات الكلاسيكية ، الناسجون على منوالها ، المدافعون عنها ، من غير محاكمات مقنعة في كثير من الاحيان .

وهذه المجلة لا ترفض القديم ولا ترده ، بل ترفض ما يلازمه من الصدى الاجوف للكلمة الفخمة ، ومن الرتابة المملة للقافية الموحدة ، ومن الموسيقى المضجرة للوزن الواحد . نقول ما « يلازمه » ولا نقول « ما يلزم عنه » فاذا اتفق ان خلا الشعر التقليدي من هذه الآفات او من بعضها ، دخل في ميدان التجديد الذي ندعو اليه .

ومن الطبيعي ان يصاحب هذه الموجة الشعرية الجديدة زبد وغثاء ككل موجة جديدة . وليس يصح ان نحكم على الشعر الجديد ابتداء من هذا الغثاء . فان مزاياه اكثر من ان تزول او تسلب – على الاقل – بسبب من بعض سيئات تنجم عن التجاوز والتفريط والاستهانة .

وايا ما كان ، فلا شك في ان هذا الشعر الجديد قد اعلن عن وجوده وثبت اقدامه ، على الرغم من انكار بعض شيوخ الادب والشعر ، وهو الآن بسبيل التبلور والتركز ، ولا شك في ان التطور الشعري في عصرنا الحاضر سيؤرخ به .

اما اذا اتفق لهذه المجلة ، او لسواها من المجلات التي تفتح صدرها لهذا الشعر ، ان تنشر ما يبدو لبعض القراء رديئا ، فعذرها في ذلك انها لا بد قد وجدت مع هذاالرديء بعض ما يحسن بها تشجيعه ، وانها من جهة اخرى تنشر « احسن الرديء » وهي تؤكد انها لا تستطيع دائما ان تمثل من انتاجنا الادبي ما هو جيد فحسب .

*

وبعد ، فقد تنوعت قصائد العدد الماضي تنوعا يشعر بطاقة الشعر الجديد على ان يستوعب مختلف الموضوعات ويعبر عن شتى الهموم . ففيها الاتجاه القومي ، وفيها النزعة الاجتماعية ، وفيها التحليل النفسي المجرد . وكل هذه الاتجاهات قد عولجت بطريقة جديدة في التفكير والتعبير هي التي تجعل لهذا الشعر الجديد نكهته الخاصة ومذاقه الفريد .

واحب ان ابدأ الحديث عن قصيدة الشاعرة العراقية الكبيرة نازك الملائكة : « اغنيتان للالم » ، التي اعتقد انها جديدة كل الجدة اذا قيست بشعرها السابق ، وحتى بشعر ديوانها الاخير « قرارة الموجة » .

ففي القصيدة نسغ عاطفي جديد يتدفق في كل ثنية ، ويتوازن مقداره مع مقدار الفكرة التي كانت غالبة في كثير من القصائد الماضية ، فاذا هي الان مندمجة بالاحساس اندماجا لا طغيان فيه ولا غلبة . ولا شك في ان « اللوعة » التي تسري في عروق القصيدة قد عبر عنها تعبيرا رائعا لا يحال او يدل عليه بقدر ما يدرك ويتذوق . وقد كنت احب لو تكون القصيدة كلها ، باغنياتها الخمس (1) بين يدي ، لاستطيع ان اتابع سلك الفكرة التي تنتظم التعبير عن هذا الالم . فالتساؤل عن مصدر الالم ، الذي تبدأ به القصيدة ، يجاب عنه ، في آخر الاغنية الثانية بغفران الذنب والايذاء ، غير اني احسب ان وراء ذلك « تطورا » متدرجا لموقف الشاعرة من هذا الالم المعذب الحبيب ... هذا الالم الذي ظنت الشاعرة انها قد حطمته وبددته . بحمله الى قاع البحر ، والابتعاد عن مصدره بالسفر الى بعيد ، ثم تبينت انه موصول الجذور بموطنه ، موطن «الوردة الحمراء » ، وانه اقوى من ان يذوب ، فلا بد من الخضوع له ، من غير الانقطاع عن التساؤل والحيرة والتلوع في اكتشاف اصله . والحق ان في الاغنية الثانية تراجعا عن محاولة تحطيم الالم وتبديده ، وقناعة بمحاولة ارجائه او نسيانه فترة من الزمن .. ولكن انى لهذا الطفل الناعم الحرون ان ينسى ؟ انه يحتاج ابدا الى تنبهنا ، والى لمسات من الهدهدة والتبسم والغناء حتى ينام .. وتأتي بعد ذلك نداءات عتاب رفيق رقيق ، وتعداد للجراح التي خلفها الالم في النفس ، وغفران للذنب والايذاء . واذا كان ادراكي لتطور هذا الموقف الفكري والشعوري من هذا الالم صحيحا ، فاحسب ان الاغنيات الثلاث الباقية ستكون تدرجا في العطف الشديد على هذا الطفل ، وقد بدأ هذا العطف فعلا لدى المغفرة ، ثم في عشقه ، ثم في التدله به ، ثم في الفناء فيه . وليس في هذا التنبؤ «تعقيل»لفكرة الشاعرة ، وانما فيه متابعة للتطور الذي بدت بوادره في الاغنيتين .

على ان القصيدة لن تفقد شيئا من جمالها وجماليتها اذا اتت الاغنيات الثلاث الباقية على غير هذا الخط الذي يعتمد قبل كل شيء على «المنطق» وليس المنطق من طبيعة الشعر بالضرورة .

ومهما يكن من امر ، ففي القصيدة تعبير رائع عن هذا الالم الذي نحبه

---

(1) كانت الشاعرة ، حين بعثت بالقصيدة الى « الآداب » قد ذكرت بانها قسم من قصيدة بعنوان « خمس اغان للالم » لم تنته بعد .

ونكرهه ، ونسعى اليه ونبتعد عنه ، ونتيمه ونوقظه ، حتى انه يكاد يصبح معنى حياتنا ووجودنا ، ويغدو قدرنا المحتوم وعزاءنا في وقت واحد . وما اروع تشبيهه بطفل صغير نائم « مستفهم العيون » ! ففي هذا الاستفهام نفسه سر اللوعة وسر الحب اللذان يشدانا اليه . واعتقد ان شيئا من هذا المعنى قد ورد في قصيدة « الحزن » من ديوان « قرارة الموجة » .

اما التكنيك الشعري ، فأجده منسجما كل الانسجام مع المضمون . فان الموسيقية التي تنبعث منه مترعة بالاسى ، وهي تهدهد المشاعر كما يهدهد ذلك الطفل الحبيب . ولعل الايقاع فيها لا يتوفر بمثل هذا الغنى في كثير من القصائد السابقة . ثم ان تغير الوزن متلائم مع تطور الفكرة : فالوزن الذي تضمنه التساؤل الاول ينم عن اللهاث المتقطع في التعبير عن الحيرة اللائعة ، والوزن الذي تلاه ، فيه انبساط اليقين وطول النفس في الاطمئنان الى محاولة القضاء على الالم ، حتى اذا تبين وهم هذا اليقين ، عاد السؤال اللاهث المتقطع ...

وماذا اقول بعد عن روعة الصور والتشابيه والاستعارات : الالم الذي آخى رؤانا ، ورعى قوافينا ، ما عاد يلقى الحزن في بسماتنا ، او يخبيء الغصص المريرة خلف اغنياتنا ، وتلك الاصابع ذات النغم الحزين ، وذلك الطفل الذي يحفر في العيون معابرا للادمع ، وهو العدو المحب والصديق اللدود ... الحق ان في هذه القصيدة منجما من الصور والتعابير الموحية الانيقة .. ولا شك في ان الانسة نازك قد فتحت فيها افاقا جديدة من الشاعرية ، وان التطور الشعري بين عهدها الماضي وهذا العهد سيكون مدهشا ، وسيدفعها الى الحدود التي تلتقي عندها العالمية بالاقليمية .

✶

قصيدة « امنية » للشاعر المهجري زكي قنصل ذات موضوع كبير ، لا احسب انها استطاعت ان تعالجه بما يتطلبه من تطوير الفكرة والعاطفة جميعا . فهو قد لم اطراف القضية بابيات قليلة لم تحمل المعطيات ولا تبريرها ، ولهذا كانت درجة التوتر والانفعال فيها هابطة ، وكان التأثير بالتالي ، ضعيفا . لقد لخص الشاعر القضية بان اما كانت تتمنى ان يترعرع فتاها لتقدمه هدية للوطن ، وانها ضحت من اجله بكل شيء ، وكان ابوه وجده قد ماتا في سبيل تحرير هذا الوطن . فلما دعاه النفير ، اطلقته امه يلبي النداء ، فتحققت امنيتها بان يموت وحيدها ليحيا الوطن . والحق ان القصيدة قد عجزت عن ان تعبر عن اعماق مشاعر الام ، ولهذا لم يكن لاقدامها على التضحية الصدى العظيم الذي تخلفه التضحيات العظيمة . وقد كان احرى بالشاعر ان يعمق معطيات القضية ، ويتابع تطورها في الذهن والقلب ـ ولو قد فعل لادرك من التأثير مبتغاه .

اما قصيدة « لن نغني » للشاعر المصري احمد عبد المعطي حجازي ، ففيها ، كمعظم قصائده ، كثير من الاعماق و «الزخم» الشعري ، وهي نجوى يوجهها الشاعر الى « الانسان في الريف البعيد » يدعوه فيها الى المشاركة والى ارهاف السمع لهذه الاغاني التي يطلقها الشاعر الواقعي اليوم ، فهذه المشاركة هي السبيل الوحيد لاثمار هذه الاغاني :

ادعوك ان تمشي على كلماتنا بالعين لوصادفتها
كي لا تموت على الورق
أسقط عليها قطرتين من العرق
فالصوت ان لم يلق اذنا ضاع في صمت الافق
ومشى على آثاره صوت الغراب

وحرارة هذه النجوى وصدق العاطفة فيها هما اللذان يجعلانها تهتز بهذا النغم الكئيب المشرق في وقت واحد . والحق ان الشاعر ، وهو ابن ريف ، يعرف كيف يوجه الحديث الى امثاله ، من هؤلاء الذين يعانون الشقاء والالم ، والذين هم باشد الحاجة الى همسات عزاء يرسلها لهم الشعراء . ثم ان الشاعر يؤمن بعظمة الكلمة التي تلقى السمع الصاغي :

لما تزل طينا ضريرا ليس في جنبيه روح
كلماتنا مصلوبة فوق الورق
وانا اريد لها الحياة على الشفاه
تمضي بها شفة الى شفة فتولد من جديد

ولا شك في ان انسياب هذه الابيات في بحور ، او مجزوءات من البحور، متقاربة ، يحفظ لها تدفقا متسلسلا يجاري نعومة النغم وكآبة المعنى ، وهو بذلك لا يخدش السمع والذوق ، بخلاف كثير من الشعر الجديد الذي لا يحس اصحابه اختيار النقلة من مقطع الى مقطع ، بل من بيت الى بيت ، جارين على هوى او نزوة ليس لهما من تبرير .

على اني اتساءل عن مغزى هذا النداء ، يوجهه الشاعر ، بما يشبه الابتهال ، الى من يطلب منهم ان يستمعوا اليه .. حسب الشاعر ان يصدق في التعبير حتى يستمع اليه الناس .. فما هو بحاجة الى قرع الاجراس لهم .

واما «عودة الغرباء» للشاعر العراقي صفاء حيدري ، فهي قصيدة رمزية ، وفي الرمز دائما ما يوقع الالتباس . فليس من الواضح تماما من يكونون هؤلاء الغرباء . فاذا كان الشاعر يرمز بهم الى مطلق غرباء ، فقدت القصيدة كثيرا من أهميتها ، اما اذا كان يقصد بهم النازحين من فلسطين فاننا لا نحب هذه اللهجة من التشاؤم التي ترين على مصيرهم في القصيدة . ان العربي الواعي يعمل اليوم ، وهو يعمل من اجل كل شيء عربي ، وعودة النازحين في طليعة الاشياء التي يعمل لها هذا العربي . اما الشاعرية في القصيدة ، فليست هي موضع شك . انها تنبع من معدن مرهف يجري منه النغم سلسا قويا لا تصنع فيه ولا ابتسار .

ومثل هذا الموضوع تعالجه قصيدة « العائدون والامل » للشاعر المصري عبد المنعم عواد يوسف . ولكن لهجة التفاؤل هي التي تحل هنا ، في اطار من العاطفة الحنانة التي تنساب برقة وعذوبة ، تترجم عن فرحة العودة بعد طول غياب ، وتستبشر بمرآى الشط يحمل ذكريات الماضي الاثيرة . ان هؤلاء العائدين قد عانوا من اهوال البحر ، وهم في سفينتهم المجاهدة ، ما لن ينسوه مدى الدهر ..ولكنهم عادوا « واذن قد عدنا للشاطيء ـ ما اجمل ان يحيا انسان بعد الموت » ـ « واخيرا عادوا ، لا لم يحدث شيء ـ مركبهم لم تأكله الامواج »

اما مبعث التفاؤل فيعبر عنه الشاعر المصري كما لم يعبر عنه الشاعر العراقي :

« ابدا يا رفقائي ابدا لن يفنى انسان ـ انسان يؤمن ان كفاح القلب ـ قطرات تسكب في صحراء النفس ـ كي تنبت يوما ما زهرات ـ ولكم كافحنا في بحر الاهوال »

واذن ، فلا بد من ان يعودوا ، ما داموا يكافحون .

غير اننا نأخذ على هذه القصيدة ، في كثير من مقاطعها ، العبارة النثرية، ولعل الاحساس بالنثرية معزو قبل كل شيء الى الفاء القافية الفاء تاما . فليس في هذه القصيدة ابيات مقفاة على الاطلاق ، ونحن نعتبر هذا التحرر نوعا من التجاوز والاساءة غير مرغوب فيه في نهضتنا الشعرية الجديدة . ذلك ان الفاء التقفية الفاء تاما يفقد القصيدة عنصر الايقاع ، وهو من اهم عناصر القصيدة العربية . ولسنا نعني بذلك ضرورة الابقاء على القافية الموحدة ، بشكلها التقليدي المعروف ، فان هذا يقتل الايقاع بالملل ، وانما نقصد المحافظة على قدر من هذا الايقاع بتنويع القوافي

في القصيدة الواحدة ، شرط التقفية في عدد من الابيات المتتابعة او المتراوحة .

اما الرمز في قصيدة « ايها القمر » للشاعر العراقي موسى النقدي ، وفي قصيدة « الرسول وجاهلية الغباء » للشاعر اللبناني حبيب صادق فلا يوقع في شيء من الالتباس . ففي الاولى يناجي القمر انسان يستشعر الضياع في عالم يسوده الظلم والاستغلال والاستعباد - ومن الواضح ان الشاعر يعاني هذا كله في بلده العربي ، فيعبر تعبيرا رائعا عن هذا التمزق الذي يعيش فيه الالوف من المثقفين ، يعيشون في جو من الاضطهاد والاختناق ، ولا يجرؤون على التعبير عن مأساتهم حتى بالرمز . وفي هذه القصيدة ابتعاث لعوالم من الصور تتجسد منتصبة عنيفة ببضع لمسات موحية . الحق ان طاقة الايحاء فيها على جانب كبير من الفنى ، فكأن الشاعر اختزن في صدره هذه الصور زمنا طويلا ، ثم اطلقها محملة بكل رصيد الشاعرية الذي يملك وهو يستعرض صور هذه الخيرات التي تفيض بها بلاده،ثم يورد ألوانا من المفارقات تكشف عن حقيقة الظلم والاستغلال

« ويخرج الفتيان والنساء والسلال - تحملها سواعد صفيرة هزال - فتنبس الرحى بسر الموت في السهول - ويخزن الحصيد .»

وهنا يطلق الشاعر صرخته الممزقة : « اصرخ في الاضواء كالوحش ، انا الشريد - يا قمري الوحيد .» ثم يعود الى زاوية من هذه الصورة :

« القمح في الحقول .. - ولم نزل نقيم في القاع من الجحيم - معذبين غير حفنة من الجراد - يستمتعون دوننا من ثمر الحصاد ... - وكل ما في الارض من لذائذ هناك -تجمعت كانها الاضواء في سماك - لكنها من اعرق العبيد - يا قمري الوحيد »

ففي هذه الصور المفارقة كل التعبير عن مأساة كثير من الشعوب العربية، في غير منطقة واحدة من الوطن العربي . وبارع هو الشاعر الذي استطاع ان يلم بها مظاهر هذه المأساة التي تشد انطلاقة انبعاثنا وتؤخرها . ولعل اجمل ما في هذه المناجاة ، هذا المقطع الذي يزيح الصورة القاتمة ليحل محلها صورة مؤطرة بالامل والتفاؤل :

« اني احب فيك ذلك الدم المشبع - قواه في الاكواخ والكهوف - احب فيك لونك الفضي كالشفوف - يستر اجسام العرايا والمشردين - احب فيك دورة الرغيف والربيع - وطيره المبشر المغيب بالشمس ، والجياع من ارض المعذبين - بالخبز والاطفال بالحليب - احب فيك الحب والانسان والسنين - هانئة بالعالم الوليد - يا قمري الوحيد . »

ان موسى النقدي هنا شاعر شاعر ، يضمن قصيدته موضوعا من اهم موضوعات الساعة العربية ، في هيكل شعري لا يعوزه النفس الموسيقي المرهف ، ولا الكلمة الموحية الحارة .

واما قصيدة « الرسول وجاهلية الغباء » فهي موجهة الى المبعوث الاميركي الذي حمل مشروع ايزنهاور الى الشرق ، فزرع فيه الاضطراب والقلق : « اتيت في يمينك النضار - وراية السعير في اليسار » وانظر كم وفق الشاعر في التعبير الحي اللاهب عن عواقب هذا المشروع :

« يا ايها الرسول - يا حامل الذبول - واليبس للثمار والزهور - واليتم للصغار - والسجن للكبار والقيود - يا حامل الظلام والبوار - والرق للكتاب والدمار - للاحرف المضيئة النبيلة .»

ولا بد هنا من الاشارة مرة اخرى الى ما يحمله الشعر الجديد من حظوظ الانطلاق في التعبير عن اهم قضايانا وابسطها في آن واحد . فان تحرره من وحدة القافية ومن وحدة الوزن تتيح له ان يبلغ ما لا يبلغه الشعر الكلاسيكي من سعة الافق ويسر التعبير ، بينما هو يحافظ على موسيقية متنوعة حطمت اطار الموسيقية القديمة الجامدة وحدت من رتابتها الجوفاء . وهذه القصيدة للشاعر حبيب صادق الذي استطاع ان يحتل مركزا طيبا - وفي فترة قصيرة - من اوفر نماذج هذا الشعر الجديد نجاحا وتوفيقا . ومن يقرأ هذه القصيدة يجدها تمتاز بالتوتر والحيوية وعنف العبارة القصيرة ، الى اشراق في الصورة وبساطة طبيعية في اختيار الكلمة وقوة في الايحاء .

سهيل ادريس

القصص

بقلم خليل هنداوي

في العدد الماضي من الآداب اربع قصص ومسرحية واحدة .

اما القصص الاربع فقد اعجبني منها انها تنصب من منحدر واحد هو فلسطين وجو فلسطين . فهل أعزو ذلك الى المصادفة ، ام الى وحدة الشعور ، ام هو الالتزام الذي جعل الادباء يقبلون على الالتزام ، ويخافون ان يتناولوا موضوعا لا يتصل بمشاكلنا من قريب ؟

الحق ان الالتزام هو ظل ادبنا اليوم ، وهو رعشة ادبائنا التي تلازمهم حتى باتوا يكتبون ، ويخشون ما يكتبون خشية الا يلائم ما كتبوه هذه المشاكل . والنقاد الملتزمون من ورائهم يلهبون جلودهم بسياط الالتزام. وهم راضون عن كل ما فيه التزام ، ولو خالف الطابع الفني لانهم خدام فكرة بعينها ، ولو جاءت عارية من غلائل فيها .

وعلى هذا ، ماأراه في هذه القصص لا يمكنني رده الى المصادفة وحدها في وحدة الجو والغرض . وقد كنت افضل لصاحب المجلة ان يمزج بين الوان من القصص تجمع اللون الفني او اللون الاجتماعي او اللون الواقعي حقا (١) .

القصة الالى عنوانها « انسان عربي » شاء كاتبها من خلال السطور ان يصور « الانسان العربي » امام خصومه الالد . ولكن هذه الصورة ظلت مضطربة مرتبكة ، لاني لم اصل منها الى « صورة واضحة » لهذا الانسان .

هنالك ثلة من الفدائيين المجاهدين ، جعلوا همهم الانتقام من اليهود لقتلاهم الذين صرعهم الغدر ، واودى بهم الموت الذي اتقنته عصاباتهم بافظع اشكاله . وكان معهم اسير يهودي يجهل اللغة العربية ، يسيل دمه من جراحه ، ومع ذلك كانوا يطعمونه ويسقونه .

انهم اخذوه حيا ، ومن الغدر ان يقتلوه وهو اسير . فاذن ، ماذا يصنعون به ؟

« اننا نحمل دمنا مثلك ، ولكنا لا نهدره في سبيل جريمة ، وسوف نجعلكم ترون جيدا البطولة الحقة الجديرة بالدماء »

اذن ، الغاية من حملهم اياه حيا ان يجعلوه يرى كيف تكون البطولة وان يعذبوه حين يرى مستعمراته كيف تأتي عليها نار الثار ، فيتألم لذلك ، وتزيد الامه في الاحتضار

(١) تعليق « الآداب » : لا شك في ان الناقد الكريم يضيق تضييقا كبيرا مفهوم الالتزام الذي نؤمن به والذي لا نجد حاجة الى تفصيله من جديد . ولكننا نؤكد مرة اخرى اننا ننشر احسن ما يردنا ، وقد اتفق ان ما وردنا ونشرناه في العدد المنقود كان متقارب الموضوع . غير اننا نذكر الناقد انه تناول في اخر نقده مسرحية ليست من الادب الملتزم ، مما يدل على ان « الآداب » ليست من ضيق الافق بحيث يظن ..

وقد ينسى احدهم انه جاء منتقما ، فيشفق على اليهودي حين يطلب الماء ، فيجود له به ، فينتفض رفيقه صائحا :

ـ لقد اصبحت قديسا يا عزيزي .. انك تعامله مثل طفل بريء يطلب حلوى . اريد ان اقذف به .. لماذا لا يشرب من دمه كما شرب ابي حين قتلوه على البئر ؟

في هذا الموقف عاطفتان تتنازعان : العاطفة القوية التي تريد ان تثار ، والعاطفة الانسانية التي تريد ان ترحم . ولكن هذه العاطفة نفسها تريد لهذا اليهودي العذاب الوجداني الذي يعرفه « مقدار الالم الذي سببه اجرام شعبه »

ويقف المشهد الاخير عند مستعمرة اغار عليها الفدائيون ، وتركوا اليهودي يشهد وحده النهاية ..

اما هذا الانسان العربي فتعريفه في القصة (انه هذا الذي بدأ يعلن وجوده ويبشر بالسلام ، وسوف ترونه نبيا جديدا يدعو لخير العالم)

والان ، هل استطاع الكاتب ان يوفق بين الموقفين ، او بين العاطفتين؟

انا لا ارى ذلك ، لان التبشير بالسلام في مثل هذا الجو أمر مقحم على القصة ، لا يدخل في اطارها . لان القصة ترمي الى التبشير بالثار لا بالسلام .

اما الحوار في القصة فهو حي في بعض المواقف ، وخطابي احيانا .وهذا الحوار كيف يوجه الى اليهودي وهو يجهل لغته ؟ الا اذا كان اليهودي على براعة فائقة ، تجعله يفهمه بالاشارة .

وقبل ان اغادر هذه القصة اذكر قصة شبيهة بها في الادب الانساني ـ لفيكتور هيجو ـ على ما اذكر . قصة ذلك الضابط الذي راح يجول في ساحة المعركة بعد النصر ، فرأى عدوا جريحا يطلب الماء ، فأمر تابعه ان يعطيه الماء . واذا بهذا الجريح يطلق على الضابط رصاصة ... لحظة محرجة ، وصمت مرعب ...

ـ اعطه الماء يا هذا !!!

والقصة الثانية عنوانها « العودة » كتبتها قصاصة معروفة « الفت عمر باشا الادلبي » وهي اديبة سبق لها ان عالجت القصة ، واخرجت مجموعة قصصية « باللون الشامي » .

وعنوان قصتها الحديثة (العودة) يدل على ما تريده الكاتبة من قصتها هذه وهي قصة تكاد تلتصق بالواقع ، على توفيق في الوصف والتحليل . قصة شاب فلسطيني من ابناء الترف واللهو . لا يخجل من القاء الضوء على شخصيته ، وفساد تكوينه، ولكنه شاب مغرور بشبابه . والشباب لا يمكنه ان يستفيد من النصيحة الا بعد ان يدفع ثمنها من غروره وفجائعه . كان يسوق سيارته الخصوصية الفخمة في شوارع مدينته المسلوبة ليصطاد بها الفواني والمسرات ، دون ان يحسب حسابا لهذا الواقع المرير . ولما صار لاجئا فرضت عليه الحياة ان يصير سائقا لياكل ، ـ او بعبارة اوضح ـ ليكفر هو وامثاله عن جرائم لهوهم ومسراتهم السابقة .

وبينما كان ينتظر على باب الملهى زبونه ، اذا هو يقع على تلك الفتاة ـ من بنات الهوى ـ التي عرفها في فلسطين ، وتساقيا معا كؤوس اللذات .. واهداها سيارة « بويك » فخمة من سياراته المعدة للاغواء .

ويشاء الحظ ان تركب الان سيارته بالاجرة مع فتى اخر . لم يجد بدا من حملهما . وهو يتجاهل نفسه . فكان هناك حوار بين الفتى والفتاة حول السيارة ، لانها تريد منه سيارة خصوصية ، وهو يتعلل ، وهي تذكره بالفتى الذي اهداها سيارته . فكانت هذه الذكريات طعنات مؤلمة في نفسه . ولما سئلت الفتاة عن مصير هذا الفتى الكريم اجابت بضحكة ساخرة :

ـ انه مات في ساحة الجهاد !

سر صاحبنا هذا النبأ وساءه في ان واحد : سره لانه جعل منه مجاهدا يموت موت المجاهدين ، وساءه لان الفتاة اماتته ، وتسخر الان هي وفتاها من هذه الذكرى . وفجأة يترك سيارته في زاوية مظلمة ، ويركض ، دون ان يعرف اين يركض ، ولماذا يركض ؟

انه يركض الى اخته ليقص عليها قصة هذه الليلة ، ويودعها وهي راضية ، ليكمل نبوءة الفتاة التي تنبأت بموته في ساحة الجهاد ، اما مصير الخليلين فقد بقي مكفنا بالظلام ، لا ندري اعرفا ذلك الشخص ام بقي السر مجهولا عندهما .

اعجبني ، في هذه القصة ، لفتة الكاتبة الى اعتراف بطل القصة بالجريمة التي ارتكبها هو ووجهاء مدينته الذين الهاهم الترف عن واجبهم بمثل هذا الكلام :

ـ ولكن لم هذا التجني ؟ الم اكن في الواقع واحدا من هؤلاء المتهاونين الذين قصروا في حق فلسطين ، ولم يؤدوا ما عليهم من دين لها ؟

الم اكن اعيش على هامش الحياة لا ابالي بكل ما يجري حولي ، متفرغا لنفسي ولذاتي التي لاحد لها ؟

في هذه الكلمة اعتراف لاتكاد تسعه السطور .

اما بناء القصة الفني فأستطيع القول ان القصة ذات وجهين مقطوع ما بينهما ، قصة الفتى وما انتابه من هواجس انتهت به الى التكفير . وقصة الخليلين اللذين تركتهما الكاتبة في زاوية السيارة . واما الحوار فلم يكن حقيقيا واقعيا بالروح الواقعية . بل كان اكثره ثقيلا على النفس حين يطغى عليه الجدل المنطقي . بل كأن بعضه جاء منقولا عن غير لغة. ولا ادري ايكون هذا الحوار اصدق لو جاء بلغة دارجة نقية ؟

عند زيارتكم للقاهرة

تخيروا

فندق كلاريدج

بوسط القاهرة

شارع ٢٦ يوليو

الدخول : ٤١ شارع سليمان باشا

ادارة جديدة ـ خدمة ممتازة ـ وسط عائلي

تلفون ٥٤٧٧٦

والقصة الثالثة بعنوان « رسالة من حيفا » وهي قصة جذابة ممتعة جاءت بقالب رسالة . وهي القصة الاولى التي تركت أثرها في نفسي. ولا ادري امرد ذلك الى موضوعها الجديد الذي تفجر من واقعية نبيلة ، ام اسلوبها الحي المتقطع ، برغم ما اتخذته لنفسها من اسلوب الرسائل ، ام توفيقها في التحليل النفسي الذي اعتمد على استيحاء الجذور ، وبناء الوعي على اللاوعي . ومهما كانت الاسباب فالرسالة اصيلة تقلبت عليها عواطف نبيلة .

الرسالة قصة اسرة فلسطينية كان ربها آمر معتقل الاسرى في الحرب العالمية الثانية . وكان له زوجته وابنته . ويشاء القدر ان يصاحب « مهندسا المانيا اسيرا » وان يحسن معاملته في الاسر. وعندما وقعت الواقعة قتل آمر المعتقل احمد ، بين يدي هذا الاسير ، وقد جمعتهما عاطفة النقمة على اليهود الانتقام منهم . وبتأثير هذه العاطفة تولى هذا المهندس الذي استخدمه اليهود لمصلحتهم حماية هذه العائلة بالتمثيل ، اذ جعل من المرأة زوجا له ، ومن الفتاة ابنة له . بينما استطاعت بقية الاسرة الفرار لتكون في صف اللاجئين .. واستطاع هذا التمثيل ان يمضي الى النهاية . ولكن اتبقى هذه النهاية ؟ ان على المهندس ان يحتال ليحمل هذه الاسرة الى النجاة من هذه الارض ..

ان هذا الواقع كله يمشي في الرسالة ببيان حي ، ولكنه ليس بكل شيء في القصة ..

فهناك الفتاة التي نشأت ، وهي تجهل كل ماضيها ، ولا تدري كيف وضع القدر لها هذا الوالد الغريب في حياتها . ولكنها نمت ، وتعلمت ، ودخلت الجامعة العبرية كفتاة غريبة المانية .. فكانت تجادل وتناقش اساتذة الجامعة وطلابها في القضية الفلسطينية ، وتأبى لها جذورها العربية الا ان تقف في صف العرب ، وهي لا تدري انها واحدة منهم .

ويكون الكاتب بارعا في تثبيت هذه الجذور ، حين يعيدها الى الجنسية التي كانت تنمو في اللاشعور ، والى الدم الذي كان يفور للعروبة دون ان تعلنه العروبة ... وكما يقول بطل الرسالة :

— واعذرها لانها ليست هي التي تتكلم ! بل جذورها ، واعماقها الممتدة في دمها عبر اخيك حيث تتصل بهذه الامة التي تدافع عنها بحرارة وايمان دون ان تدري لذلك سببا . انا واثق انها لا تكاد تعلم حق العلم انها عربية لان الجو والاحداث الضخمة ابعدت من ذاكرتها كل ما يقربها من اصلها . ولكنها جذورها ، اعماقها شدتها الان الى امتها .

ولا اظن الكاتب مغاليا حين يعتمد على هذه « الغيبيات » في بناء الروح الوطنية . لاني مؤمن كل الايمان بهذا الحدس الخفي ، وهذا اللاشعور العميق الذي يعمل عمله في تفتح القومية .

اما القصة الاخيرة فهي قصة « الحاج حمزه » وهي اقرب الى رسم « صورة » منها الى قصة ، لانها فقيرة من العنصر القصصي . والعقدة القصصية ، وهي صورة رجل عجوز يحمل بندقية ليجاهد في يوم « بور سعيد » على الرغم من ضعفه وشيخوخته . ولا يسعنا الا ان نقدر عاطفة هذا العجوز التي توقدت في نفسه ، وكان مثلا من امثلة كثيرة له في ذلك اليوم .

اما القصة ، كقصة ، فليست لها انطباعات قوية في النفس لسذاجتها ، وفقر الخيال فيها . واما الحوار فيها فقد جاء باللغة الدارجة المصرية ، دون ايغال في العامية . ان كنت لا احبذ اي حوار باللغة العامية .

واجمل ما في القصة شخصية البندقية التي تناجي صاحبها ، وتحثه على القيام بواجبه ، كانها مواطنة ترتقب هذا اليوم لتؤدي فيه واجبها .

واما القصة الاخيرة فهي مسرحية فنية عنوانها « الملهمة » من فصل واحد بقلم « خير الدين احمد » . اراد كاتبها ان يعالج ناحية او نواحي فنية عدة ، وبالرغم من ان القصة كتبت بوعي وتفكير لتعبر عن افكار واضحة فان الجو الذي تسبح فيه المسرحية جو مضطرب ، متردد ، متناقض ، لا يدري القارىء الى اين يريد الكاتب ان ينتهي به . وصيغة الحوار تدل بجملتها على تكلف يضيق به الواقع .

وما هي القصة بعد ذلك ؟

قصة رجل ادبى على الاربعين ، فنان يكتب القصة ، متزوج وله اطفال ، سحره صوت امرأة ناعمة مدة خمس سنوات . وهذه المرأة على ثقافة عالية « متقصية دقائق الحكمة » وقد اشفقت عليه ذات ليلة ، فدعته الى زيارتها . ولكنها استقبلته من وراء ستار ، ولبثت تسحره بنغمتها . ويكون هناك حوار « فني او فلسفي » حول الهام المرأة ، وحقائق الوجود والايحاء مما فاتني تذكره ، لان الكاتب كانما جعل همه ان تأتي مسرحيته طافحة بالمشاكل المعقدة . ونفهم ان قصد هذه المرأة من هذه الزيارة ان تنقذه — على حد قولها — من براثن امرأة شريرة تعرفت عليها اخيرا . ولكن لا ندري اي سر في هذا الانقاذ . ومن الحق ان تغيب عنا الاسرار ما دامت البطلة « قد اقامت بين ربوع الهند بعض الوقت ، واستقت الحكمة من منبعها ».

و وحين يريد ان يرى وجهها تهديه الى صورة معلقة ، لا يرى اروع منها ولا اجمل . ثم تحثه على ان يحدق فيها اكثر ، فاذا هي صورة بشعة، لا اتصال لها بالصورة الاولى . واذا تحرينا اسباب هذا الطباق بين الصورتين وجدنا الكاتب يريد ان يقول بلسان بطلته :

« هكذا الحياة يا صاحبي .. احيانا نراها في احد الوضعين ، واحيانا اخرى .. نجدها في الوضع المخالف ...

وحين يتقدم من بطلته تقرب عينيه صورة مشوهة لعجوز في الستين من عمرها .

قرأت هذا ، وفجأة لاحت لعيني « صورة دوريان جراي » لاوسكار وايلد . ذلك الفتى الوسيم الانيق الذي كان يتبدل نظره الى صورته بحسب ما يثور في نفسه من نزوات وشر وخير وقبح وجمال . ولا شك ان هذه الصورة علقت بعين كاتب المسرحية ، وحام حولها . ولكن فاته بعد المغزى . ففي مسرحيته هو الذي يرى صورة غيره ويتخيل ، وان كان التخيل توهما بعيدا عن الواقع ، بينما البطل في قصة « صورة دوريان جراي » هو الذي يرى صورته ، وتختلف ملامح صورته بحسب نفسيته. وهذا شيء لا ينكره التحليل النفسي

وفي النهاية ، بعد مظاهر مختلفة تصيح به البطلة :

— ان الحكمة تدعو الى ذلك، والان اهرع الى زوجتك واطفالك . انهم جميعا في لهفة الى عودتك .

المسرحية — كما قدمت — من النوع الفني . يهمني شيوع هذا اللون كثيرا ، لان اسلوبنا الادبي مفتقر اليه . والكاتب — وان لم تكن الريشة مستقرة على انامله ، فان خطوطها تدل على ان له حظا حسنا في هذا المجال . ولو لم اتوسم فيه هذا الحظ لما وقفت القلم عنده طويلا .

كان يجدر بابطال هذه المسرحية ان يكونوا اشخاصا مفكرين معروفين لا عاديين . وان يكون الحوار اصدق واقعية وابعد عن جفاف الذهن والحقائق المجردة ، ولم يستطع اقحام الفن فيه ان يبلل هذا الجفاف ، وان يترك مكانا للعاطفة في موضوع بنته العاطفة .

حلب — خليل هنداوي